الفصل الرابع

مقاومة الخديو للاحتلال (١٨٩٤ ــ ١٨٩٨)

١ ــ الوفاق الظاهرى والمقاومة السرية ٠

٢ ــ مقاومة الخــديو والحركة الوطنية للاحتــلال اثنــاء فتح السودان ٠

٣ ــ قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف ٠

٤ ــ تطور العلاقة بين الخديو والسلطان ٠

obeikan.com

يعتبر حادث الحدود نقطة تحول فى العلاقة بين الخديو وكرومر وبالرغم من أن الخديو لم يكف عن مقاومة الاحتلال الا أنه أصبح أكثر حرصا يتبع سياسة المقاومة فى الباطن بينما يعلن سياسة الوفاق Conceliation وعلى كل حال فانه يمكن تقسيم هذه الفترة الى قسمين قسم يبدأ من عام ١٨٩٤ وحتى فتح السودان ١٨٩٦ ويتميز باتباع الخديو لوسائل المقاومة السرية ، والقسم الآخر ويبدأ بفتح السودان وفيه يخرج الخديو عن سياسته ويقف علانية ضد مطامع الانجليز فى السودان [١] .

وكانت الرغبة الملحة التى واجهت الخديو بعد أزمة الحدود هى التخلص من وزارة رياض ولكن كرومر كان يعارض فى أى تغيير وزارى بناء على طلب الخديو ، كما أنه وجد أن اقالة من نصح الخديو بالتسليم بمطالب الانجليز يعتبر مبدأ غير مشجع للوزراء الآخرين على الاستمرار فى هذه السياسة ولكن الخديو تغلب على ذلك بتوسيط الأميرة نازلى فاضل صديقة الانجليز [٢] . ولما أحس رياض بما يدور خلف الكواليس قدم استقالته فى أبريل ١٨٩٤ فعهد الخديو برئاسة الوزارة الى نوبار باشا ، وكان من المنتظر أن تكون وزارة نوبار وزارة وفاق ولكن كل من الخديو وكرومر لم يكونا متشبعين بسياسة الوفاق فاتبع نوبار سياسة الخضوع الكامل للاحتلال مما أثار المشاكل بينه وبين الخديو ومن ثم بين الخديو والاحتلال [٣] . ونتيجة لذلك بدأ الخديو يتودد للاحتلال

---

(١) د. المسدى : المرجع السابق .

(٢) الأميرة نازلى هانم بنت الأمير مصطفى فاضل باشا اخ الخديو اسماعيل كانت من أنصار الانجليز وعشاقهم ، فقد تربت تربية اوربية وكانت على علاقة وطيدة بالانجليز .
انظر : مذكرات محمد فريد ، ملف رقم ٢ ، ص ٦٥

(٣) المسدى : المرجع السابق .

كما أرسل يستدعى مصطفى كامل من أوربا . ولكن مصطفى كامل رفض الانصياع لطلبه وأرسل اليه خطابا قال فيه « رأيت من الحكمة أن أؤخر عودتى صيانة لكرامة سموكم ، اذ أنى لو كنت عدت حينذاك لتحقق للانجليز من أنى مرسل الى أوربا من قبل جنابكم ، وأحببت أن أبرهن لسموكم بتأخيرى عن الحضور أن ليس هناك شىء ما وراء التهديدات الانجليزية ، وأن الانجليز لا يستطيعون ولن يستطيعوا أن يضروا سموكم » .

ومن هذا الخطاب يتضح رفض مصطفى كامل اتباع أوامر الخديو بالعودة الى مصر ووقف حملاته فى أوربا ضد الانجليز خوفا على عرشه ونفسه موضحا أن الانجليز لا يمكنهم الاساءة اليه بسبب جهاده لأنهم لو تمكنوا من ذلك لفعلوه منذ زمن طويل .

ولما أحس كرومر بخطورة دور مصطفى كامل فى التشهير بسياسة الاحتلال فى مصر أراد التخلص منه بادخاله الجيش برغم تمتعه بالاعفاء القانونى (٤) .

ولكن مصطفى كامل كشف حيلتهم وأوضح أنه كان غائبا فى أوربا ولم يصله اعلان بذلك (٥) .

ونظرا لتغير الظروف الدولية عاد الخديو الى سياسة مقاومة الاحتلال وبوجه خاص بعد أن ساءت علاقة ألمانيا بانجلترا نتيجة لأزمة جنوب أفريقيا كما أن فرنسا بدأت تنظر الى دور انجلترا فى اعادة

---

(٤) نص قانون التجنيد فى مصر فى ذلك الوقت على اعفاء حملة المؤهلات العالية من الخدمة فى الجيش بشرط أن يقدم الشخص ما يثبت مؤهله خلال ثلاثة أشهر .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٩٠

(٥) عن تفاصيل هذا الموضوع انظر : على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا ؛ الجزء الخامس ، ص ١٨٦ — ١٩٣

فتح السودان نظرة ريب ، وبذلك شعر الخديو بحرج موقف انجلترا ، ولما كانت تركيا قد خرجت من اضطرابات الأرمن ، وحرب اليونان منتصرة فقد أصبح ممكنا الاستفادة من السلطان فى مقاومة انجلترا فى مصر ، وقد دفع ذلك الخديو الى زيارة الآستانة وتوطيد الصلة بينه وبين السلطان الى حد كبير (٦) لدرجة أن الخديو رغب فى الزواج من احدى بنات السلطان ولم يمانع السلطان فى ذلك لولا دسائس أبى الهدى الصيادى عند السلطان بخطورة هذا الزواج وايهامه بأنه اذا أنجبت كريمته ذكرا فلا يستبعد أن يرشحه الانجليز للخلافة ، وبذلك تنتقل الخلافة من تركيا الى مصر ، مما جعل السلطان يحجم عن اتمام هذا الزواج حرصا على مركز الخلافة (٧) .

أما الانجليز فقد قاموا بالضغط على السلطان حتى لا يشجع الخديو فى حركته المضادة لهم ، ونجحوا فى ذلك اذ « أن السلطان نصح الخديو بطريقة أبوية أن يفوض أمره الى الله (٨) » فعاد الخديو الى مصر خصما مؤدبا ذليلا بعد أن ذهب الى الآستانة شاهرا سلاح الحرب (٩) ، ولكن الأحوال لم تستمر على هذا المنوال اذ أن الخديو بدأ يقاوم طلب الانجليز فى اعادة فتح السودان .

مقاومة الخديو والحركة الوطنية للاحتلال أثناء فتح السودان :

اعتبرت انجلترا أن سوء ادارة الحكم المصرى فى السودان هو الذى أدى الى ضياعه ، ولكن الوقائع أثبتت أن انجلترا عملت منذ بداية احتلالها لمصر على تصفية الوجود المصرى فى السودان ثم استغلال الأوضاع الدولية لوضع يدها عليه .

---

(6) Ahmed Shafik Pacha : l'Egypte Moderne et les Influences et rangeres p. 170.

(٧) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ، القسم الأول ، ص ١٥٦ .

(٨) نفسه ص ١٤١ .

(9) Cromer : Abbes II p. 54.

ولما تطورت الأحداث الدولية فى مارس ١٨٩٦ بهزيمة القوات الايطالية على يد الأحباش شعر الطليان بأن الخطر يتهددهم من جانب الأحباش ومن جانب المهدية ، لذلك استنجدت الحكومة الايطالية بانجلترا للقيام بعمليات حربية فى السودان حتى لا يتحد الأحباش والسودانيون ضد أوربا (١٠) .

واستجابت بريطانيا لنداء ايطاليا وشجعها على ذلك رغبتها القديمة فى استعادة السودان ، فأبرقت الى معتمدها فى مصر بالأمر فاتفق مع السردار على الخطة العامة لاعادة فتح السودان وبدأ فى تنفيذها قبل اعلان الخبر للخديو والحكومة المصرية (١١) .

ومع أن المصريين كانوا قد حزنوا لضياع السودان واستمسكوا بارتباط السودان بمصر وآثر شريف باشا الاستقالة احتجاجا على اخلائه وتحمس المصريون فى أول الأمر لاعادة فتح السودان فان هذا الحماس قد فتر بعد أن اعتقدوا أن هذا الفتح سيكون فى صالح بريطانيا حيث سيضمن لها بقاء مصر فى حوزة امبراطوريتها ويتضح من قول أحد الأنجليز المعاصرين « اننا سنحكم مصر اذا تواجدنا عند منابع نهر النيل (١٢) » بمعنى أن تواجد انجلترا فى السودان سيطيل أمد احتلالها لمصر .

وقد اعترض الخديو عباس الثانى على الحملة صراحة كما اعترضت جرائد السراى والجرائد الوطنية (١٣) ، ولكن الخديو اضطر تحت

---

(١٠) مكى شبيكة : السودان فى قرن ١٨١٩ — ١٩١٩ . القاهرة — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥

(١١) نفسه : ص ٢٧٥

(12) Langer. W. L. The Diplomacy of Imperialism 1890 - 1902 Vol. 1 New York p. 127.

(١٣) قامت جريدة المؤيد بحملة كبرى ضد اعادة فتح السودان ، انظر اعداد ١٨ — ٢٨ مارس ، ١٥ أبريل ، ١ مايو ، ١٦ يونيه ، ٢٦ اغسطس ١٨٩٧ ، ٢ اغسطس ، ٢٠ سبتمبر ١٨٩٨

تهديدات كرومر الى اقرارها وبوجه خاص بعد أن رأى الوزراء المصريين قد وافقوا عليها وأن ألمانيا وتركيا لم تبديا اعتراضا واضحا على الحملة .

أما عن رأى الحركة الوطنية فى فتح السودان فقد أوضحه مصطفى كامل بقوله « اننا نود من صميم قلوبنا أن نسترد المقاطعات السودانية التى هى لبلادنا الروح نفسها .. ولكنا ما أردنا قط ولا نريد أبدا أن نسترجع السودان تحت قيادة الانجليز وبوجودهم على رأس الجيش يحفرون بيننا وبين السودانيين حفرة من أعمق الحفر تؤخر لزمن مديد صلحنا معهم [١٤] » كما أوضح أن اعادة فتح السودان سيؤدى الى اطالة أمد الاحتلال البريطانى لمصر [١٥] .

وقد قام مصطفى كامل بحملة شديدة ضد فتح السودان موضحا أن هدف الانجليز منه هو تحويله الى مستعمرة بريطانية .

وخلال عمليات الفتح وبعدها قاسى الجيش المصرى الكثير من المتاعب نتيجة للتغيير الشديد الذى اتبعه كتشنر ، فلم يستطع أفراد الحملة الحصول على القدر الكافى من الغذاء والكساء ووصل الأمر بالجنود أن دخلوا دنقلة بأسمال باليه كما كان على القوات أن تقطع مسافات شاسعة سيرا على الأقدام فى جو السودان الشديد الحرارة لعدم كفاية وسائل النقل ؛ وكانت قلة وسائل النقل سببا فى نقص الخدمات الطبية ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تخطاه الى سوء المعاملة التى لقيها الجنود المصريون من الضباط الانجليز [١٦] .

---

(١٤) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٩٣

(١٥) نفسه : ص ٩١

(١٦) المجلة التاريخية المصرية : المجلد الثانى والعشرون ١٩٧٥ ، مقال للدكتور المسدى تحت عنوان الاحتلال والحركة الوطنية فى مصر فى أوائل القرن العشرين ، ص ١٢٤ — ١٢٦

يضـــاف الى ذلك أن مصر تحملت الكثير من النفقات أثنـــاء فتح السودان مما أرهق ميزانيتها . فكان السودان مصدر انفاق لا مصدر ايراد لمصر ومع ذلك فان مصر على الدوام لم تبخل بأى تضحية من الرجال والمـــال فى سبيل جمع شمال الوادى بجنوبه [١٧] .

ولكى يحقق كرومر لبـــلاده السيطرة على السودان رأى ضرورة اشتراكها فى الفتح بالتخطيط والقيادة والأموال وتنفيذا لذلك رأى أنه لو أقرضت انجلترا مصر أموالا لمصاريف الحملة فان الأراضى المفتوحة سترهن مقـــابل هـــذا القرض ، وذلك بأن يتولى السردار الانجليزى للجيش المصرى ادارة تلك الأقاليم باسم الحكومة البريطانية حتى يسدد القرض ، وتحت التهديد وافق الخديو على قبول ذلك[١٨] .

كما رأى كرومر أن يتم بيع سكة حديد السودان [١٩] الى شركة انجليزية بحجة حاجة الحكومة الى المـــال لتدبير نفقات الحملة ، ولأن الحكومة لم تعد فى حاجة الى السكة الحديد بعد انتصار الجيش المصرى ولكى يستكمل كرومر خطتـــه رأى أن تتنازل بلاده عن القـــرض الذى قدمته للحكومة المصرية بحجة توفير الأموال لمواصلة الفتح [٢٠] .

وتنيجة لتهـديدات كرومر المستمرة للخـــديو ، وفقدان الأمل فى المساعدات الدولية وقع الخديو اتفاقية السودان فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، وهـــذه الاتفاقية تمثل البداية الفعلية لاستسلام الخديو وخضـــوعه

---

(١٧) اخبار اليوم : فى ١٩٤٥/١٢/١ مقال للدكتور وحيد رافت تحت عنوان « السودان أو وحدة وادى النيل » .

(١٨) المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

(١٩) مد الجيش المصرى سكك حديدية فى صحراء النوبة ليتسنى له أن يزحف ويحتفظ باتصاله بقواعده العسكرية ، وقد عانى المصريون ضروب المشاق والأهوال أثناء انشغالهم بانشاء السكك الحديدية فى تلك الصحراء المقفـــرة .

الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٣٦

(٢٠) المسدى : المرجع السابق .

للاحتلال ؛ ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يستسلم لما حدث بل هاجم هذه الاتفاقية واعتبرها باطلة كما اعتبر يوم ١٩ يناير وهو اليوم الذى وقعت فيه هذه الاتفاقية يوم من أكبر أيام الشتاء فى تاريخ مصر (★) .

قضية التلغراف ومحاكمة الشيخ على يوسف :

شغلت هذه القضية الرأى العام المصرى لفترة ؛ وتنحصر فى أن جريدة المؤيد نشرت تلغرافا سريا أرسله اللورد كتشنر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ يوليو ١٨٩٦ الى وزير الحربية بخصوص أحوال الحمله فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بأفراد الجيش (٢١) هناك وصورته كالتالى « تفيد التلغرافات الواردة من (كوشه) أمس على نظارة الحربيه التفصيلات الآتية عن حالة الجيش المصرى فى الحدود وقد أظهر سعادة السردار أسفه وأنه لم يتمكن منذ أيام من ارسال التفصيلات لأنه كان شديد القلق من الكوليرا التى انتشرت هناك فى كل نقطة ومركز من مراكز خط المواصلات وفى المعسكرات » ثم قال وقد حصل فى أسوان بين عساكر الحضرة الخديوية الفخيمة ٣٩ اصابة توفى فيها ١٥ شخصا ؛ أما فى كروسكو فقد حصلت ٢٢ اصابة توفى منها ١٣ . وفى حلفا ١٥٦ اصابة توفى منها ١٨ وست وفيات فى الجيش البريطانى ؛ واستمر المؤيد فى ذكر بيان الاصابات كما وردت فى تلغراف السردار (٢٢) .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيف حصل الشيخ على يوسف على تلغراف سرى من وزارة الحربية رغم أن أخبار السودان كانت ممنوعة عن الجرائد الوطنية ؟

(★) اللواء : العدد ١٦ فى ٢٠ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « يوم ١٩ يناير » .

(٢١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ — ٢٣١

(٢٢) المؤيد : عدد ٢٨ يوليه ١٨٩٦ تحت عنوان « احوال الجيش المصرى فى الحدود » .

لقد بحثت الحكومة هذا الأمر فاتضح لها أن توفيق أفندى كيرلس الموظف بمكتب التلغراف بالأزبكية هو الذى تلقى برقية السردار وأبلغ عن فحواها الى المؤيد [٢٣] وأن الشيخ على يوسف تواطأ مع موظف التلغراف وأخذ منه البرقية ونشرها فى جريدته [٢٤] .

وأقامت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كيرلس بناء على طلب اللورد كتشنر ونظرا لأن جريدة المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية فى ذلك الوقت فقد ازدحمت الجماهير على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية حتى أن بعض قاصدى الجلسة دفع لدخوله قاعة المحكمة أجرا يتراوح بين نصف الجنيه والجنيهين للشخص الواحد [٢٥] ، ولما كان محمد فريد وقتئذ يعمل وكيلا بنيابة الاستئناف فقد شهد القضية وأظهر عطفه على صاحب المؤيد وبغضه للاحتلال وسياسته ؛ وانتهى الأمر بصدور الحكم فى القضية يوم ١٩ نوفمبر ١٨٩٦ ببراءة الشيخ على يوسف وحبس توفيق كيرلس ثلاثة أشهر [٢٦] ، ونتيجة لذلك هتف الحاضرون فى المحكمة بعدالة القضاء واستقلاله . ولم يتمالك محمد فريد فى اظهار سروره بهذا الحكم مما أدى الى نقمة الاحتلال عليه فطلب الانجليز من النائب العام نقله الى احدى نيابات الوجه القبلى ، فأصدر أمرا بنقله الى نيابة بنى سويف ، ولكن فريد اعتبر أن هذا النقل بمثابة انتقام منه لا نقلا تقتضيه المصلحة لذلك رفض تنفيذ أمر النقل ، واستقال من وظيفته احتجاجا على ذلك وكتب الى النائب العمومى بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٨٩٦ بقبول استعفائه [٢٧] .

ونظرا لاستياء الانجليز من أحكام القضية استأنفت النيابة الحكم

---

(٢٣) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ، ص ٢٨

(٢٤) دار الوثائق : مذكرات تاريخ حياة ابراهيم الهلباوى ، ص ٥٣

(٢٥) نفسه : ص ٥٣

(٢٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٨

(٢٧) دار المحفوظات : مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات عام ١٨٩٦

فنظرت القضية فى أول ديسمبر ١٨٩٦ أمام محكمة الجنح المستأنفة ثم تأجلت منتصف الى نصف الشهر وفيها أصدرت المحكمة حكمها بتأييد حكم البراءة بالنسبة للشيخ على يوسف ، والغاء الحكم بالنسبة لتوفيق كيرلس وبراءته (٢٨) .

ومن ذلك يتضح أن اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية يعتبر مثلا على نضوج الوعى القومى فى ذلك الوقت وبرهانا على كراهية الشعب المصرى للاحتلال وأعوانه .

تطور العلاقات بين الخديو والسلطان :

باعتلاء عباس الثانى أريكة الخديوية جدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر مستغلا ذلك صغر سن الخديو ومع أن الخديو حاول مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على الأحوال الداخلية فى مصر الا أن هذا التعاون كان يتعذر أحيانا خصوصا بعد أن اتضح للخديو عجز السلطان عن الوقوف معه ضد الاحتلال .

ولما كان الخديو يخشى نفوذ السلطان فى مصر — نظرا لأن المصريين كانوا يعتبرون أنفسهم مكلفين شرعا بطاعته باعتباره الأب الروحى للمسلمين — فقد بدأ يقاومه ويقف فى وجه سحبه لأى امتيازات نالتها مصر من قبل .

ومع أن السلطان كان قد وهب ايرادات جزيرة طاشيوز الى محمد على بموجب فرمان صدر عام ١٨١٣ جزاء انتصاره على الوهابيين (٢٩) فانه حاول استرداد هذه الامتيازات فى عصر عباس الثانى فى حين

---

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٢٩

(٢٩) احمد شفيق : المرجع السابق جـ ٢ ؛ القسم الأول ، ص ٣٩٨

حاول الخديو التمكين لنفسه فى هـذه الجزيرة [٣٠] ، وقد بدأ النزاع على هذه الجزيرة منذ عام ١٨٩٥ فلما أراد الخـديو بناء قصر له فيها رفض السلطان طلبه كما رفض السماح له بالذهاب اليها مما زاد من الجفاء بينهما الأمر الذى جعل الخـديو يمنـع الدعاء للسـلطان فى المساجد [٣١] .

وتطورت الأمور عندما فرض أحمد خيرى مدير الأوقاف الخديوية بطاشيوز ضريبـة عالية على المـاعز نظـرا لأنها كانت تأكل شجيرات الزيتون هناك وأخذ أعيان الجزيرة كرهائن حتى يدفع الأهالى ما عليهم من حسابات [٣٢] فتذمر الأهالى واشتكوا الى مأمور الجزيرة التركى من ذلك كما أرسلوا الى الخديو يلتمسون الغاء الضريبة وقبل أن يتم النظر فى شكواهم قاموا بمظـاهرة وذهبوا الى مأمورية مركز ادارة الجزيرة واصطدموا بالقوات الموجودة هنـاك فقتل عدد منهم [٣٣] ، ولمـا أبلغ السلطان بالأمر انتهز الفرصة فأمر بارسال قوات لاحتلال الجزيرة كما أصدر أمرا بضم معاون طاشيوز الى خزينته الخاصة وضم ادارة الجزيرة الى ولاية سالونيك [٣٤] مما أثار غضب الخديو وجعله يتقرب من الانجليز .

---

(٣٠) حاول الخديو التمكين لنفسه فى هذه الجزيرة فقام بتحسـين أحوالها « وايجاد الأسباب الباعثة لثروة ورفاهية اهاليها » كما أمر بتيسير سبل المواصلات وسهولة التنقل بها .

دار الوثائق : ديوان معية سنية عربى . رقم ٤٥٣٩٣ فى ١٧ يونيـه ٩٩ تحت رقم ٤٨ كما أمر بانشاء معصرة لزيت الزيتون هناك نظرا لما تشتهر به الجزيرة من حاصلات الزيتون .

(31) Blunt : My Diaries, Vol. 1, p. 255 - 256.

(٣٢) يتضح ذلك من دواوين المعية السنية .

انظر : ديوان رقم ٤٥٣٩٥ تحت رقم ٢٨ بتاريخ ٢٨ ابريل ١٩٠٠

(٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٣٩٦

(٣٤) نفسه : ص ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠٣ ، ٤١١

وهكذا كانت طاشـــيوز هى الصخرة التى تحطمت عليها علاقات الخديو بالسلطان [٣٥] .

طلب الخديو مساعدة الانجليز فزاره ونجت باشـــا بقصر رأس التين فأطلعه الخديو على تفاصيل الحادث ، وعلى حاجته الى معـــاونة كرومر له فنصحه بالتمسك بموقفه وأوضح له بأن الانجليز على استعداد لمساعدته اذ هو اتفق معهم ، وأن حل المســـألة يمكن أن ينتهى بارسال سفينة حربية بريطانية لهذه الجزيرة [٣٦] .

وقد حاولت جريدة اللواء رأب الصدع بين السلطان والخـــديو فذكرت « ان منزلة الجناب العالى من جلالة السلطان كمنزلة الولد البار من الوالد العطوف » كما هاجمت المحاولات التى تبثها بعض الصحف المغرضة للتفريق بين السلطان والخديو [٣٧] . كما حذر مصطفى كامل من نجاح الانجليز فى التفرقة بين السلطان والخديو ثم طالب الخديو بالتبصر فى الأمور ، وبذل الجهود لتوطيد علاقة مصر بالدولة العثمانية حتى يكفل ذلك له سلامة عرشه [٣٨] .

والجدير بالذكر أن الخديو كان على استعداد للتعاون مع الانجليز ضد السلطان ، ولكنه لم يكن مستعدا لقطع العلاقات نهائيا معه [٣٩] بالدرجة التى تمكن الانجليز من اعلان حمايتهم على مصر ، ومن هنـــا

---

(٣٥) يوسف خليل جاد اللـــه : المرجع السابق ؛ ص ٢٣٧

(٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٤١١ — ٤١٢

(٣٧) اللواء : عدد ٨٤٤ فى ١٥ يوليه ١٩٠٢ تحت عنوان « مسئلة طاشيوز » .

(٣٨) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣٩) عندما طلب كرومر من الخديو عزل قاضى القضاة التركى وتعيين آخر مصرى مكانه رفض الخديو على أساس أن ذلك من اختصاص السلطان، وقد استمرت محاولات الانجليز فى هـــذا السبيل للتفاصيل انظر : مذكرات سعد زغلول كراسة رقم ٩ ، ص ٤٣٧

لجأ الخديو الى أسلوب الضغط على السلطان حتى يعيد اليه امتيازات مصر فى طائيوز وكان ذلك باستخدام طريقين :

١ ــ مساعدته لأعضاء جماعة تركيا الفتاة .

٢ ــ التلويح بامكان قيام خلافة عربية تحل محل الخلافة العثمانية (٤٠) .

ومن أجل ذلك رحب الخديو بأعضاء جماعة تركيا الفتاة الفارين من بطش السلطان وقربهم اليه واستخدمهم فى قصره وظل الأمر كذلك حتى ساءت علاقة الخديو بالانجليز فتقرب الى السلطان وحاول استرضاءه باضطهاد أعضاء جماعة تركيا الفتاة الموجودين بمصر كما حدث فى مسألة ليون فهمى (٤١) وحادث المطبعة (٤٢) ، ولكن السلطات الانجليزية حالت دون بطش الخديو بهؤلاء واحتضنهم كرومر وزاولوا نشاطهم فى مصر تحت حماية الانجليز .

أما عن تلويح الخديو باقامة خلافة عربية فذكر البعض أن الخديو كان يطمع فى الخلافة ، ويريد أن يستمد من سمعة الأزهر وعلمائه فى العالم الاسلامى سندا دينيا يرجحه على أمراء المسلمين (٤٣) ، وقد

---

(٤٠) الكاتب : العدد ١٥٩ فى يونيه ١٩٧٤ تحت عنوان « أم القرى للكواكبى » .

(٤١) انظر : الفصل الثانى .

(٤٢) خلاصتها أن بعض الأوراق الخاصة بسجلات المشتركين فى جماعة تركيا الفتاة كانت قد طبعت فى عام ١٩٠٠ ، ثم حدث نزاع على ملكية المطبعة التى طبع فيها هذه السجلات استغله اتباع السلطان فى الحصول على الأسماء الموجودة بالسجلات وتسليمها للسلطان ، ونظرا لخطورة الأمر اتصل أعضاء هذه الجماعة بكرومر فأسرع بالتدخل فى الأمر والاستيلاء على الأوراق الموجودة بالمطبعة وحرقها .

Cromer : Abbas II p. 79.

احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ــ ٣٩٥

(٤٣) عباس العقاد : محمد عبده ، ص ٢٣٤

أحس السلطان بذلك فلما زار الخديو الآستانة والتقى بجمال الدين الأفغانى هناك استدعى السلطان اليه الأفغانى وسأله أتريد أن تجعلها عباسية — بمعنى أنه يتآمر على اسناد الخلافة الى الخديو عباس الثانى — فرد عليه الأفغانى بأن الخلافة ليست خاتما فى يده يضعه فى أصبع من يشاء (٤٤) .

كما يذكر بلنت أن الخديو أرسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمقابلة ابن الرشيد للتباحث فى موضوع الخلافة العربية ، ولكن لم تتم المقابلة نظرا لضغط السلطان على الخديو (٤٥) .

وبالرغم من ذلك فاننا نرى أن الخديو عباس الثانى لم تكن لديه القدرة التى تمكنه من تنفيذ فكرة الخلافة العربية ، وان الأمر لا يعدو أكثر من مزاولة الضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامتيازات التى نالتها مصر من قبل ، ووقف تدخله فى شئون مصر .

وعلى كل حال فقد أضعفت معارك الخديو مع السلطان من موقفه أمام الانجليز ، وجعلته يقع تحت ضغط كرومر .

---

(٤٤) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٨٨

(45) Blunt : op. cit., Part 1, p.p. 252 - 272.